كلمة الحياة

حزيران/ يونيو 2022

"أَنتَ سَيِّدي ولا خَيرَ لي سِواكَ" (مز 16، 2)

أُخِذت كلمة حياة هذا الشهر من كتاب المزامير الذي يجمع الصلوات الرئيسة، التي أوحاها الله إلى الملك داود وإلى مصلّين آخرين، بُغيةَ تعليمهم كيف يتوجّهون إليه. نستطيع جميعًا أن نجد أنفسَنا في المزامير، فهي تلمس صميمَ كِياننا وتعبّر عن أعمق المشاعر الإنسانيّة القويّة: من الشكّ، إلى الألم، والغضب، والقلق، واليأس، والأمل، والتسبيح، والشكران، والفرح. لهذا السبب يستطيع كلّ رجل وكلّ امرأة، من كلّ الأزمنة والثقافات، وفي كلّ لحظة من لحظات الحياة، أن يتلفّظ بها.

"أَنتَ سَيِّدي ولا خَيرَ لي سِواكَ"

إنّ المزمور 16 هو المفضّل لدى العديد من المؤلِّفين الروحيّين. فقد علّقَت عليه مثلًا القدّيسة تريزا الآفليّة قائلة: "من يملك الله لا يحتاج إلى شيء، وحدَه الله يكفيه!". وقد لاحظ الأب أنطونيوس فكري، اللاهوتيّ من الكنيسة الأرثوذكسيّة، ما يأتي: "هذا المزمور هو مزمور القيامة، لذلك تصلّيه الكنيسة في صلاة باكر، فالمسيح قام في الفجر. هذا المزمور يعطينا رجاء في ميراثنا الأبديّ، لذلك نجده مُعَنْوَنًا بالقول 'مُذَهَّب' فهو كلام من ذهب، هو جوهرة من جواهر الكتاب المقدّس".

لنحاول أن نكرِّرَ هذه الجملة ونحن نفكّر بكلّ كلمة.

"أَنتَ سَيِّدي ولا خَيرَ لي سِواكَ"

إنّ هذه الصلاة تغمرنا وتُشعِرنا بحضور الله الفاعل والمُحِبّ الذي يحوي كلّ ما فينا وما في الخلق، وتجعلنا نُدرك أنّه يجمع ماضينا وحاضرَنا ومستقبَلَنا. فيه نجد القوّة كي نواجه بِثِقة الآلام التي نلقاها في مسيرتنا، وفيه نجد السلام الداخليّ كي نرفع نظرنا إلى ما بعد ظلال الحياة، إلى الرجاء.

كيف سنستطيع إذًا عيش كلمة حياة هذا الشهر؟ إليكم اختبار س. د.: "منذ مدّة قليلة بدأت أشعر بأنّني لست على ما يُرام، لذا خضعتُ لسلسلة من الزيارات الطبّيّة تتطلّب أوقاتًا طويلة من الانتظار. في النهاية عندما علمتُ أنّ مَرَضي هو الباركنسون أو الشلل الارتعاشيّ، شكّل ذلك صدمة لي! كان عمري 58 سنة، كيف يعقُل ذلك؟ رحتُ أتساءل: "لماذا؟" أنا معلّمة في مجال علوم الحركة والرياضة، والنشاط الجسديّ هو جزء منّي!

بدا لي أنّني أخسر شيئًا مهمًّا جدًّا. ولكنّني أعدت التفكير بالخِيار الذي قمتُ به حين كنتُ شابّة: "أنت يا يسوع المصلوب والمتروك خيري الوحيد"!

وبفضل الأدوية، سرعان ما بدأت أشعر بتحسّن كبير، ولكنّني لم أكن أعرف بالضبط ما سيحصل لي. قرّرت أن أعيش اللحظة الحاضرة. وبعد تشخيص مرضي كتبتُ بشكل عفويٍّ أغنية أقول فيها لله 'نعم': وها إنّ نفسي أصبحت مغمورة بالسلام!"

كان صدى هذه الآية من المزمور قد دوّى بشكل خاصّ في نفس كيارا لوبيك التي كتَبَت: "هذه الكلمات البسيطة ستساعدنا على أنْ نثق به، وتُدرّبُنا على العيش مع 'المحبّة بامتياز' (أي مع الله). وهكذا نكون بوحدة دائمًا أكبر معه، ممتلئين منه، فنُوَطّد دائمًا من جديد الأُسس الضروريّة لكِياننا الحقيقيّ الّذي هو على صورةِ الله"[1] .

ها نحن إذًا في شهر حزيران/ يونيو هذا متحدون لنَرفع إلى الله "إعلانَ الحبّ" هذا ونُشِعُّ السلامَ والطمأنينة من حولنا.

ليتيتسيا ماغري *Letizia Magri*

[1] كيارا لوبسك، كلمة حياة شهر تمّوز/ لوليو 2001.